AL-SABAH
الصباح الإسلامية
www.alsabahpress.com Alsabah Media
No. 4146 | الجمعة | 6 جمادى الأولى 1443 هـ | 10 ديسمبر 2021 م | السنة الرابعة عشرة

«وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ»

الرياح لواقح للشجر والسحاب

آيات الإعجاز: قال الله تعالى: «وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ» [الحجر: 22].

التفسير اللغوي: [جاء في مختار الصحاح في مادة لقح: لقح: ألقح الفحل الناقة والريح السحاب ورياح لواقح ولا تقل ملاقح وهو من النوادر وقيل الأصل فيه مُلقحة ولكنها لا تلقح إلا وهي في نفسها لاقح كأن الرياح لقحت بخير فإذا أنشأت السحاب وفيها خير وصل ذلك إليه.

فهم المفسرين: قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: «وأرسلنا الرياح لواقح»، قال: لواقح للشجر والسحاب. وهو قول الحسن وقتادة والضحاك من التابعين. وذكر هذا القول أيضاً الطبري والقرطبي.

وقال طائفة من المفسرين: لواقح جمع لاقح، أي: حاملة للسحاب والخير، وضدها الريح العقيم.

فعلى الأول: تكون لواقح جمع ملقحة.

وعلى الثاني: تكون جمع لاقح.

ولا معارضة بينهما، فلقد صوب إمام المفسرين الطبري كلا القولين جميعاً، ذلك بأن الرياح تُلقحُ بمرورها على التراب والماء والشجر فيكون فيها اللقاح، وهي بذلك لاقحة نفسها. كما أنها ملقحة لغيرها، وإلقاحها السحاب والشجر هو عملها فيهما.

حقائق علمية: التلقيح الريحي ضروري في عملية الإخصاب وخاصة للنباتات ذات الأزهار الفاقدة لجاذبية الحشرات.

التفسير العلمي

قال الله تعالى في كتابه العزيز: «وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ» [الحجر: 22].

وقد جاء في تفسير هذه الآية أن الرياح هي لواقح للشجر والسحاب وهو قول ابن عباس وبعض التابعين، وقال الإمام الطبري إن الرياح حاملة للسحاب والخير.

أما علماء النبات فقد أصبح من المقرر عندهم أن التلقيح عملية أساسية للإخصاب وتكوين البذور، حيث تنتقل حبيبات اللقاح (Pollen Grain) من العناصر الذكرية للزهرة (Anthers) إلى العناصر الأنثوية فيها (Stigmas) حيث يتم الإخصاب. والتلقيح قد يكون بين العناصر الذكرية والأنثوية للزهرة الواحدة أو النبتة الواحدة ويسمى عندئذ بـ «التلقيح الذاتي» (Self Pollination) وقد يكون بين نبتتين منفصلتين ويسمى حينئذ بـ «التلقيح المختلط» (Cross Pollination).

تختلف طرق انتقال حبيبات اللقاح باختلاف نوع النبات، فهناك فضلاً عن التلقيح بواسطة الإنسان -كما في تأبير النخل مثلاً- ثلاثة طرق أخرى، وهي:

- التلقيح بواسطة الحيوانات: كالحشرات (Insect Pollination) والطيور (Bird Pollination).
- التلقيح بواسطة المياه (Water Pollination).
- التلقيح بواسطة الرياح (Anemophily).

إنّ للرياح، كما تذكر الموسوعة العالمية، دورا هاما في عملية نقل اللقاح في النباتات التي تفتقد الأزهار ذات الرائحة والرحيق والألوان الجاذبة للحشرات حيث تقوم الرياح بنشر اللقاح على مسافات واسعة، فعلى سبيل المثال: تنشر الرياح لقاح الصنوبر (Pine) على مسافة قد تصل إلى 800 كيلومتر قبل أن يلتقي اللقاح بالعناصر الأنثوية ويتم التلقيح.

من جملة النباتات التي تعتمد على التلقيح الريحي بشكل أساسي: الصنوبريات والقراص والحور والسنديان والقنب والبندق.

كما جاء في الموسوعة البريطانية الجديدة أن مما يسهل انتشار اللقاح بواسطة الرياح، كون عناصر الزهرة الذكرية التي تتولى إنتاج اللقاح معرضة للهواء بحيث يسهّل انتشار اللقاح. وكون الزهرة ما أورقت بعد، أو كونها في أعلى الشجرة أو النبتة.

أوَليست هذه الحقائق العلمية هي تأكيدات لما جاء في كتاب الله تعالى: «وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ»؟ فهل كان محمد صلى الله عليه وسلم عالم نبات ليصدر عنه مثل هذا القول وهو النبيّ الأمي؟ أم هل كانت عنده دراسات حول النباتات وهو قاطن الصحراء منذ أكثر من أربعة عشر قرناً؟

مراجع علمية: جاء في الموسوعة العالمية: «إن التلقيح الريحي هو خاصية للنباتات ذات الأزهار غير المميزة والتي تفتقد -عادة- الأريج والرحيق الجاذب للحشرات حيث ان كمية وافرة من اللقاح الجاف الخفيف الوزن ينتج فتحمله الرياح عابرة به مسافات شاسعة إلى العنصر الأنثوي.

ثم إن تلك الكميات الموجودة في الهواء من ذلك اللقاح هي السبب الرئيسي للحمّى المعروفة بـ «حمّى القش» والتي تصيب الأشخاص ذوي الحساسية المفرطة».

كما ذكرت الموسوعة البريطانية الجديدة:

«ولتسهيل التعرض للريح، تزهر الزهرة -غالباً- قبل نمو الأوراق في الربيع، أو قد تنمو الزهرة في أعلى الشجرة أو النبتة، ويغلب أن تكون المياسم طويلة ومقوسة لمنح مساحة أوسع لالتقاط حبيبات اللقاح». وجه الإعجاز: وجه الإعجاز في الآية الكريمة هو إشارتها إلى أن الرياح تقوم بعملية التلقيح الريحي للنباتات، فقال تعالى: «وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ» وهذا ما كشف عنه علماء النباتات في القرون الأخيرة.

سفك دم أو فرج حرام أو اقتطاع مال بغير حق يخرج من نطاقها

الأمانة..المجالس والعلاقات الزوجية والحواس ودائع لابد من الحرص عليها

ومن معاني الأمانة أن تنظر إلى حواسك التي أنعم الله بها عليك. وإلى المواهب التي خصك بها وإلى ما حُبيت من أموال وأولاد. فتدرك أنها ودائع الله الغالية عندك. فيجب أن تسخرها في قرباته. وأن تستخدمها في مرضاته.

فإن امتحنت بنقص شيء منها فلا يستخفنك الجزع متوهما أن ملكك المحض قد سُلب منك. فالله أولى بك منك. وأولى بما أفاء عليك وله ما أخذ وله ما أعطى! وإن امتحنت ببقائها فما ينبغي أن تجبن بها عن جهاد. أو تفتتن بها عن طاعة. أو تستقوي بها على معصية. قال الله عز وجل: «يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم».

ومن معاني الأماني أن تحفظ حقوق المجالس التي تشارك فيها. فلا تدع لسانك يفشي أسرارها. ويسرد أخبارها. فكم من حبال تقطعت. ومصالح تعطلت. لاستهانة بعض الناس بأمانة المجلس. وذكرهم ما يدور فيه من كلام. منسوبا إلى قائله أو غير منسوب.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا حدث رجل رجلا بحديث ثم التفت. فهو أمانة». وحرمات المجالس تُصان. مادام الذي يجري فيها مضبوطا بقوانين الأدب وشرائع الدين. وإلا فليس لها حُرمة. وعلى كل مسلم شهد مجلسا يمكر فيه المجرمون بغيرهم ليلحقوا به الأذى أن يسارع إلى الحيلولة دون الفساد جهد طاقته. قال رسول الله: «المجلس بالأمانة. إلا ثلاثة مجالس: مجلس سفك دم حرام. أو فرج حرام. أو اقتطاع مال بغير حق».

وللعلاقات الزوجية في نظر الإسلام قداسة فما يضمه البيت من شؤون العشرة بين الرجل وامرأته. يجب أن يُطوى في أستار مسبلة. فلا يطلع عليه أحد مهما قرب. والسفهاء من العامة يُثرثرون بما يقع بينهم وبين أهلهم من أمور. وهذا وقاحة حرمها الله. فعن أسماء بنت يزيد. أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. والرجال والنساء قعود عنده. فقال: «لعل رجلا يقول ما فعل بأهله. ولعل امرأة تُخبرها بما فعلت مع زوجها؟ فأرَمّ القوم سكتوا وجلين فقلت: أي والله يا رسول الله. إنهم ليفعلون. وإنهن ليفعلن!! قال: فلا تفعلوا. فإنما مثل ذلك شيطان لقي شيطانة فغشيها والناس ينظرون». وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا: «إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يُفضي إلى امرأته وتفضي إليه. ثم ينشر سرها».

والودائع التي تدفع إلينا لنحفظها حينا. ثم نردها إلى ذويها حين يطلبونها هي من الأمانات التي نُسأل عنها؟. وقد استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هجرته ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليسلم المشركين الودائع التي استحفظها. مع أن هؤلاء المشركين كانوا بعض الأمة التي استفزته من الأرض، واضطرته إلى ترك وطنه في سبيل عقيدته. لكن الشريف لا يتضع مع الصغار. قال ميمون بن مهران: «ثلاثة يؤدين إلى البر والفاجر: الأمانة. والعهد. وصلة الرحم». واعتبار الوديعة غنيمة باردة. هو ضرب من السرقة الفاجرة. عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «القتل في سبيل الله يُكفر الذنوب كلها إلا الأمانة. قال: يُؤتي بالعبد يوم القيامة وإن قُتل في سبيل الله فيُقال: أدّ أمانتك! فيقول: أي رب. كيف وقد ذهبت الدنيا؟ فيُقال: انطلقوا به إلى الهاوية. وتُمثل له أمانته كهيئتها يوم دُفعت إليه. فيراها فيعرفها. فيهوى في أثرها حتى يُدركها فيحملها على منكبيه. حتى إذا ظنه أنه خارج زلت عن منكبيه. فهو يهوى في أثرها أبد الابدين. ثم قال: الصلاة أمانة. والوضوء أمانة. والوزن أمانة. والكيل أمانة. وأشياء عددها. وأشد ذلك الودائع».

قال راوي الحديث: فأتيتُ البراء بن عازب. فقلتُ: ألا ترى إلى ما قال ابن مسعود؟ قال: كذا! قال البراء صدق. أما سمعت الله تعالى يقول: «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل».

انتصار النبي صلى الله عليه وسلم للصديق

لقد ثبت من الأحاديث الصحيحة ما يدل على أن النبي كان ينتصر لأبي بكر وينهى الناس عن معارضته، فعن أبي الدرداء قال: كنت جالسًا مع النبي إذ أقبل أبوبكر آخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي: «أما صاحبكم فقد غامر» ، فسلم، وقال: يا رسول الله، إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى عليّ، فأقبلت إليك، فقال: يغفر الله لك يا أبابكر ثلاثا، ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثم أبوبكر؟ قالوا: لا. فأتى النبي فسلم عليه، فجعل وجه رسول الله يتمعر، حتى أشفق أبوبكر فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم مرتين، فقال النبي: «إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبوبكر: صدق، وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟» مرتين. فما أوذي بعدها.

وفي هذه القصة دروس وعبر كثيرة، منها: الطبيعة البشرية للصحابة وما يحدث بينهم من خلاف، وسرعة رجوع المخطئ وطلب المغفرة والصفح من أخيه، وتواد الصحابة فيما بينهم، ومكانة الصديق الرفيعة عند رسول الله ثم أصحابه... إلخ.

قل: غفر الله لك يا أبا بكر

قال ربيعة الأسلمي: كنت أخدم النبي.. وذكر حديثًا ثم قال: إن رسول الله أعطاني بعد ذلك أرضًا وأعطى أبابكر أرضًا، وجاءت الدنيا فاختلفنا في عذق نخلة، فقلت أنا: هي في حدي، وقال أبوبكر: هي في حدي، فكان بيني وبين أبي بكر كلام، فقال أبوبكر كلمة كرهها، وندم، فقال أبوبكر: لتقولن أو لأستعدين عليك رسول الله، فقلت: ما أنا بفاعل، قال: ورفض الأرض، وانطلق أبوبكر إلى النبي، وانطلقت أتلوه، فجاء ناس من أسلم فقالوا لي: رحم الله أبابكر، في أي شيء يستعدي عليك رسول الله وهو قد قال لك ما قال؟ قلت: أتدرون من هذا؟ هذا أبوبكر الصديق، هذا ثاني اثنين، وهذا ذو شيبة المسلمين، إياكم لا يلتفت فيراكم تنصروني عليه فيغضب، فيأتي رسول الله فيغضب لغضبه، فيغضب الله – عز وجل – لغضبهما فيهلك ربيعة، قال: ما تأمرنا؟ قال: ارجعوا، قال: فانطلق أبوبكر إلى رسول الله فتتبعته وحدي حتى أتى النبي فحدثه الحديث كما كان، فرفع إليّ رأسه فقال: يا ربيعة، ما لك وللصديق؟ قلت: يا رسول الله، كان كذا.. كان كذا، قال لي كلمة كرهها فقال: قل لي كما قلت حتى يكون قصاصا فأبيت، فقال رسول الله: «أجل فلا ترد عليه، ولكن قل: غفر الله لك يا أبابكر»، فقلت: غفر الله لك يا أبابكر. قال الحسن البصري: ولى أبوبكر وهو يبكي.

لله أي وجدان هذا الوجدان، وأي نفس تلك النفس!! بادرة بدرت منها لمسلم فلم ترضَ إلا اقتصاصه منها، وصفحه عنها، تناهيًا بالفضيلة، واستمساكًا بالأدب، وشعورًا تمكن من الجوانح، وأخذ بمجامع القلوب، فكانت عنده زلة اللسان – ولو صغيرة – ألمًا يتململ منه الضمير فلا يستريح إلا بالقصاص منه، ورضا ذلك المسلم عنه.

كانت كلمة هينة، ولكنها أصابت من ربيعة موجعًا.. فإذا أبو بكر يزلزل من أجلها، ويأبى إلا القصاص عليها، مع أنه يومئذ كان الرجل الثاني في الإسلام بعد رسول الله، وهي كلمة لا يمكن أن تكون من فُحش القول أبدًا، لأن أخلاقه لم تسمح بهذا، ولم يؤثر عنه حتى في الجاهلية شيء من هذا.

لقد خشي الصديق مغبة تلك الكلمة ولهذا اشتكى لرسول الله، وهذا أمر عجيب، فإن أبابكر قد نسي أرضه ونسي قضية الخلاف، وشغل باله أمر تلك الكلمة لأن حقوق العباد لابد فيها من عفو صاحب الحق. وفي هذا درس للشيوخ والعلماء الحكماء والدعاة في كيفية معالجة الأخطاء ومراعاة حقوق الناس وعدم الدوس عليها بالأرجل.

وقد استنكر قوم ربيعة أن يذهب أبوبكر يشتكي إلى رسول الله وهو الذي قال ما قال، ولم يعلموا ما علمه أبوبكر من لزوم إنهاء قضايا الخصومات، وإزالة ما قد يعلق في القلوب من الموجدة في الدنيا قبل أن يكتب ذلك في الصحف ويترتب عليه الحساب يوم القيامة.

وبالرغم مما ظهر من رضا ربيعة وتوجيه النبي إلى عدم الرد على أبي بكر، فإن أبا بكر قد بكى من خشية الله تعالى، وهذا دليل على قوة إيمانه، ورسوخ يقينه.

وأخيرًا موقف يذكر لربيعة بن كعب الأسلمي، حيث قام بإجلال أبي بكر وأبى أن يرد عليه بالمثل، هذا من تقدير أهل الفضل والتقدم والمعرفة بحقهم، وهو دليل على قوة الدين ورجاحة العقل.